نظرة تحليلية نفسية للعنف في الجزائر

A psychological analysis of violence in Algeria

الباحثة: .د/ لمية بن أمسيلي *

الإرسال:	2019/10/05	القبول:	2020/03/22	النشر:	2020/06/30

الملخص باللغة العربية:

يعتبر العنف ظاهرة عالمية تعرفها المجتمعات بدرجات متفاوتة وتعد الجزائر من الدول التي عرفت طوال تاريخها عدة موجات من الظاهرة بشتى أنواعها وأشكالها، يتجلى ذلك في سلسلة من الأحداث التي سوف نعود إليها بالتفصيل في هذا المقال.

نعني بالعنف في بحثنا هذا قوة نمارسها ضد شخص ما أو ضد مادة وينجم عن ذلك آثار خاصة. فهو كل تهديد أو استعمال عمدي للقوة الجسدية أو السلطة، ضد النفس ذاتها، ضد الآخرين أو ضد جماعة الذي يسبب أو من المحتمل أن يسبب صدمة، وفاة، أضرار نفسية، سوء التطور أو حرمان.

يكمن هدف المقال في تقديم شبكة قراءة تحليلية نفسية وروية سيكولوجية لهذه الظاهرة والتي من شأنها استحضار البعد النفسي لمفهوم العنف لما يترتب عنه من أثار مدمرة للفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: العنف، الجزائر، قراءة تحليلية نفسية.

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: Violence is a global phenomenon known to societies in varying degrees. In this research, we mean violence that we exert against a person or a substance, with special effects. It is every intentional threat or use of physical

* - لمية بن أمسيلي :دكتورة تخصص علم النفس العيادي، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم العلوم الاجتماعية ، البريد الالكتروني: [haderbache.lamia@gmail.com].

force or authority, against the soul itself, against others or against a group that causes or is likely to cause trauma, death, psychological damage, poor development or deprivation. The aim of the article is to provide a network of psychoanalytical and psychoanalytical reading of this phenomenon that will evoke the psychological dimension of the concept of violence because of its devastating effects on the individual and society.

Keywords: Violence, Algeria, psychoanalytical reading.

مقدمة:

يعتبر العنف، ظاهرة عالمية، عرفتها المجتمعات البشرية كافة بدرجات متفاوتة وبصور وأشكال مختلفة، إلى حد أنه يعد في يومنا هذا مشكلة للصحة العامة، ومشكلة اجتماعية كثيرا ما تهدد الأمن والسلم في بلدان العالم. فلهذا نجد أن الموضوع الخاص بهذه الظاهرة يحظى باهتمام كبير في ميدان البحث النفسي، الاجتماعي، النفسي- الاجتماعي والقانوني، كما يشكل محورا للعديد من الدراسات المعاصرة، وتزداد ضرورة القيام بهذا النوع من البحوث نظرا لما يخلفه من أضرار وخسائر تمس سلامة الحياة لاسيما أن إشكالية ممارسته تزداد لتتخذ أنواعاً وصوراً مختلفة في جميع الميادين في الأسرة، المدرسة، الملاعب، الشارع وغيرها.

إن العنف ظاهرة مركبة متعددة التغيرات، ولا يمكن تفسيرها بمتغير أو عامل واحد فقط، فالمؤكد أن هناك مجموعة من العوامل تتفاعل بل تتداخل وتترابط وتؤثر بعضها البعض سلبا أو إيجابا فيما بينها لتفجر أعمال العنف، لذلك يستوجب التطرق إلى عدة نظريات مفسرة له.

إشكالية الدراسة، أهميتها وهدفها:

يكمن السؤال الرئيسي لهذا المقال في ماهية المخلفات النفسية-المرضية لظاهرة العنف في الجزائر؟ وتكمن أهمية الدراسة في الوقوف عند موضوع مازال من المواضيع الغير مفكر فيها بدرجة كافية، فهي في الحقيقة مهمشة ولا تحظى بالجهود المعرفية اللازمة وخاصة إذا نظرنا إلى حجم الأضرار النفسية الناجمة من هذه الظاهرة. فلا بد علينا كباحثون وكعياديون التفكير فيها لمحاولة فهم العواقب النفسية للأحداث على المدى الطويل، وبالتالي المساهمة في إرصانها وعقلنتها حتى لا يتكرر التاريخ،

فالصمت أو الغفلة في علم النفس العيادي هو شاهد عن الشيء الذي لا يمكن التفكير فيه و لا يمكن تصوره، و هذا شيء سلبي و من الضروري التفكير في الذي لا يمكن تفكيره حتى لا يتحول إلى ثغرة تنتقل بين و عبر الأجيال بشكل صدمي.

في هذا الصدد يهدف هذا المقال إلى تقديم قراءة تحليلية نفسية لأهم المحطات العنيفة التي عرفتها الجزائر في تاريخها وذلك بغية المساهمة في تناول هذه الظاهرة من جهة ومن جهة أخرى تحفيز التفكير في الآليات الناجعة للحد منها ولاسيما في مجال علم النفس.

1- العنف في الجزائر وانعكاساته النفسية:

سوف نقوم في هذه النقطة بقراءة تاريخية لأحداث العنف في الجزائر. و في هذا النطاق « يتميز كل مجتمع بعلاقة خاصة مع العنف و ذلك حسب تاريخه وثقافته. و مثال الجزائر يؤكده لنا كل يوم ». (Benamsili, 2012, p.13).

إن المتتبع لجذور العنف السياسي في الجزائر، يجد أنه متغلغل في تاريخ الشعب الجزائري، بل يعتبر سمة أساسية في تطوره، لكن نعتبر أنه من المنطقي البحث في تاريخ البلاد بذور العنف الحالي في الجزائر على الرغم من أنه كما يشير إليه رماعون (Remaoun) (1994) في قوله أن «الضرر عميق في الجزائر. » (Remaoun, 1994, p.29) و سوف نكتشف عبر هذه اللمحة التاريخية أن «جزائر مريضة بعنفها. » (Peyroulou, 2004, p.125)

هذه النقطة مهمة جدا لأنها سمحت لنا بعرض موجز لأهم المحطات التاريخية العنيفة للجزائر و محاولة إضاءة العوامل التي تجد نفسها وراء ما حدث في البلاد، و كما تنص بوعطة (Bouatta) (2007) « التاريخ الماضي يقوم بإضاءة التاريخ الحالي ». (Bouatta, 2007, p.10)، كما أنه يمكن « للتناول التاريخي إثراء التفكير العيادي ». (Claessens, 2015, p.182)

وبذلك نستهل هذه النقطة بالمدخل التاريخي للمجتمع الجزائري قبل الاستقلال، لاسيما الثورة التحريرية التي تمثل القطيعة النهائية مع النظام الاستعماري الفرنسي، بغض النظر عن مختلف أنواع الاحتلال لاسيما العثماني منه.

و في هذا الصدد «لقد عرف المجتمع الجزائري ظاهرة العنف على مستوى واسع نبعت من واقع الظروف الاجتماعية، الثقافية و الاقتصادية التي عاشها المجتمع عبر مسيرته التاريخية، التي كانت محفوظة بأعمال العنف المسلطة عليه في إطار

الحملات الاستعمارية المختلفة التي تعاقبت على المجتمع و طبيعة و واقع الحياة الصعبة التي واجهت الإنسان الجزائري، فقد تركت لا محالة آثار عميقة متوارثة في شخصيته الثقافية على مستوى معاملاته و تفاعلاته في بيئته الاجتماعية كرد فعل للضغوط المتعددة الممارسة عليه. » (بن عويشة، 2009، ص. 345).

ومن الثورات الشعبية في عهد الاستعمار الفرنسي إلى الثورة التحريرية، من أجل القضاء على الاحتلال الفرنسي. إن هذا الأخير، كان مميزا في نوعه، «لأن الجزائريين عرفوا استعمار الإعمار، الذي أباد كل الهياكل الاجتماعية - الاقتصادية والثقافية، التي تلعب دورا حاويا للأفراد و الجماعات الاجتماعية، فكل التجريدات، كل الاعتقالات في المنفى للشعب الجزائري، كل أحداث التمرد التي تم قمعها، تركت حتما صدمات عميقة في الذكريات الجماعية و الفردية. » (Bouatta, 2007, p.10) و يواصل في نفس المنوال مانصرو (Mancero) (1994) بالإشارة إلى ثقل الماضي في الجزائر و يؤكد على أن « الماضي الاستعماري يعد من بين العناصر التي أدت إلى العشرية السوداء ». (Mancero, 1994, p.15) ، و ذلك لأن « حرب التحرير الجزائرية كانت عنيفة جدا ودامية للغاية. » (Pierre & Quandt, 1995, p.249)، و هذا ما جعل ڤريد (Guerid) (2007) يتحدث عن «الصدمة الاستعمارية. » (Guerid, 2007, p.29) و هذه الحرب خلفت أثار نفس-مرضية انتقلت إلى الأجيال اللاحقة و من شأنها تفسير العنف السائد في البلاد (Benhalla, 2013)

ومن جهته يفسر منصوري (Mansouri) (2013) كيف أن الصدمات والحقد الغير المستقلب في الجزائر سوف يجتاح فرنسا، ويقوم الجيل الجديد بتحديث صراعات الأبوين. في حين يرى رافنال (Ravenel) (1994) على أن «حرب الجزائر مثلت بالنسبة للوعي الوطني الفرنسي الصدمة الأكثر وحشية منذ 1945 » (Ravenel, 1994, p.153).

بينما كتب كروك (Crocq) و آخرون العديد من الكتب أين يتحدثوا عن الصدمة النفسية أو ما يعرف باضطراب ما بعد الصدمة عند المحاربين القدماء الفرنسيين، و حتى عند الشهود و الأشخاص التي عرفت وحشية حرب التحرير الجزائرية، و أيضا انتقال صدمة الحرب بين و عبر الأجيال. (Lefebvre, Crocq, Sauvaget, Bernot, Savelli 1986 , 1999 ; Crocq, 2014) ; Chaput-Le Bars, ;

في حين تعتبر المأساة الجزائرية بالنسبة لـ أوصديق وستورا (Oussedik et Stora) (1997) « التعبير عن شعيرة النسب المرتبطة ببتر الهوية، بحيث نظمت الفترة الاستعمارية التجريد من الأراضي، اللغة، الرابط التاريخي و الدين، فالمحاولة من الاستيعاب للنموذج الفرنسي يمثل انقطاع مع ثقافة الآباء و الأجداد ». (Oussedik & Stora, 1997, pp. 7-8).

ننتقل إلى البعد الاجتماعي للحرب لأنه يبقى ذو أهمية تاريخية ورمزية. ففي «سنة 1963 تكلم الدستور الجزائري عن أكثر من مليون و نصف مليون شهيد. » (Stora, 2005, p.23)

عموما تاريخ الجزائر منذ 1962 هو كارثي. (Goumeziane, 1994)، لأنه بعد الاستقلال، تغلغل العنف في الجزائر، نذكر أولا « الحركة الانقلابية التي قادها الرئيس بومدين (Boumediene) في 19 جوان 1965، و التي أطاحت بالرئيس أحمد بن بلة، وانتهت بتعديل هيكلة النظام السياسي و التركيز على إعادة بناء الحزب الحاكم، و من ثم انفراده المطلق بالسلطة، مع استيعابه لبعض عناصر المعارضة، من خلال البرامج المطروحة، حيث نجد أنه في كل مرة يؤكد ساسة الجزائر على انتماءهم إلى الحضارة العربية الإسلامية ». (قوامي، 1998، ص. 24).

و بعد ذلك و في سنوات الستينات و السبعينات «كان الرابط الاجتماعي في الجزائر مشحوناً بصراع و دينامية العنف. » (Addi, 1999, p.8). و نجد بعدها أحداث الجامعة المركزية 1982، مرورا بأحداث قسنطينة 1985، و سطيف 1986، و وصولا إلى تمرد بويعلي (Bouyali) و مجموعته على النظام 1987، لكن تعتبر أحداث 05 أكتوبر 1988 هي النقطة الفاصلة في تاريخ الجزائر لأنها كانت الأكثر اتساعا و شمولية، و الأكثر تأثيرا على النظام السياسي و مستقبل الجزائر. » (رمضاني، 2012، ص.26).

في بداية الثمانينات، نلاحظ ظهور جمعيات إسلامية، حين «بدأت بعض الشخصيات افي معارضة شفوية ضد النظام مثل مظاهرة 1982 في جامعة الجزائر، حيث تم إلقاء القبض على بعض هذه الشخصيات». (Volpi, 2009, p.188)، ثم اندلعت « انتفاضة الخبز سنة 1986 في كل من قسنطينة و سطيف، بينما كانت البلاد يشهد أزمة مالية خطيرة جدا مما جعله يعيش أوضاعاً اقتصادية و اجتماعية صعبة للغاية ». (بن عروس و آخرون، 2002، ص.73) و في هذا النطاق، يؤكد ملاح (Mellah) (1998) على أنه خلال «حركة التمرد في القبائل سنة 1980 و في سعيدة سنة 1982،

في قسنطينة و سطيف في 1986، قامت السلطات بقمع وحشي أدى إلى العديد من القتلى و الجرحى، و قامت بالاعتقال و التعذيب. » (Mellah, 1998, p.12)

و لقد كانت البيئة الاجتماعية، الاقتصادية و السياسية في الجزائر أثناء صيف 1988 تعبر عن أزمة هيكلية متعددة الأبعاد يعيشها «النظام السياسي؛ اجتماعيا: البطالة، تقهقر القدرة الشرائية، الندرة في المواد الاستهلاكية؛ اقتصاديا: عجز الدولة عن تأمين الحاجات الأساسية للمواطن و كذلك قطع الغيار و لوازم الإنتاج في القطاعات المختلفة. سياسي: انقسام بين أجنحة النخبة حول التعامل مع الأزمة وحول السياسة الاقتصادية للنظام وكذلك الانفتاح السياسي الذي طبق في الميدان دون وجود مواثيق». (Lavaenue, 1993, p10)، إن أحداث 1988 سبقت بعدة إشارات معلنة بما سوف يحدث مثل« أفريل 1985 في القصبة بسبب نقص الماء و نوفمبر 1986 في قسنطينة بسبب قمع الشبان المتظاهرين ». (Nouschi, 1995, p.314) ، الأمر الذي أدى إلى تأجج الصراع السياسي و ظهوره في الشارع من خلال موجة الإشاعات التي عمت البلاد في نهاية سبتمبر 1988 و اندلاع « حركة الإضرابات الواسعة خاصة المنطقة الصناعية الحساسة بالرويبة -الرغاية». (Benkheira, 1990, p.14) و في «مساء 04 أكتوبر بدأت مظاهرات الشباب في الأحياء الشعبية بالعاصمة، انتهت بأعمال شغب مست كل ما يرمز للندرة والفساد و كل ما يرمز للدولة و الحزب، و ابتداء من 05 أكتوبر انخرط كبار السن في الإضرابات و توجيههم للمتظاهرين، و تشجيع سكان العاصمة على الالتحاق بالمظاهرات، فالمشاركة في الإضرابات لم تقتصر على تلاميذ المدارس، كما ذهبت إلى ذلك بعض الكتابات القريبة من الأوساط الرسمية، و إنما كانت بالإضافة إلى أطفال المدارس والثانويات جمع غفير من الشباب العاطلين عن العمل احتلوا شوارع المدينة و قاموا بعمليات تخريب واسعة. » (Benkheira, 1990, p.15)

في« 05-10-1988 اندلعت أعمال شغب في مدينة الجزائر وذلك احتجاجا على تقنين المواد الاستهلاكية الأساسية وارتفاع الأسعار، وفي يوم 05- 10- 1988 تحولت المظاهرات إلى أعمال شغب وهاجم محركوها وهم في معظمهم من الشباب المباني الرسمية والعمومية، فنهبت وأحرقت مقرات حزب سياسي ومقر بعض البلديات والمحاكم. » (العمير،1989، ص.9)

وسرعان ما تحولت الحركة إلى «أعمال شغب مع مواجهات مع قوات الأمن، في حين تدخل الجيش بعنف لإرجاع النظام، ثم من خلالها قتل المئات من الشبان

المتظاهرين إضافة إلى مئات من الجرحى والعديد من حالات التعذيب التي ظهرت بصفة علنية و ذلك للمرة الأولى منذ الاستقلال». (Dahmani, 1999, p.113)، فواجهت الجزائر بذلك « تمرد شعبي بدون سابق، لوحظ من خلالها هدم كثيف للمتلكات العمومية. » (Djeflat, 1999, p.1)

و كانت نتيجته «قمع المتظاهرين ما بين 400 إلى 500 ضحية فيما بينهم 200 إلى 300 قتيل في الجزائر العاصمة، ودامت أجواء العنف 8 أيام. » (Musette, 1999, pp. 139-140)، و مرست معاملة قاسية إتجاه متظاهري أكتوبر 1988 بحيث على حسب بن مالك (Benmalek) (1999) فإن هناك « عدة حالات من التعذيب في فترة المظاهرات. » (Benmalek, 1999, p.351)، كما استعمل الرصاص الحي ». (Charef, 1992, p.77). ويجب التذكير أن أحداث 1988 خلفت «بلداً مصدوماً، و متمرداً من نظام يرمي بالرصاص في اتجاه أبنائه». (Alilat & Hadid, 2002, p.169)

و قد عرفت كل هذه الأحداث بعد انتهاء القمع من طرف الدولة سلسلة من الاعتقالات واعتبرت من قبل المفكرين خاصة، من بينهم مظهر (Medhar) (2009) مثل «زلزال اجتماعي » و يضيف هذا الأخير أن العنف الاجتماعي معقد و هو في شراكة هامة مع الحياة أو المعاش الاجتماعي في الجزائر ».(Medhar, 2009, p.152)، في حين يشير بعض المحللين أن هذه الأحداث شكلت «نقطة حاسمة في بداية و تطور الأزمة الجزائرية» (بوشلوش، 2008، ص.303)

وهكذا مثلت إذن أحداث أكتوبر 1988و انعكاساتها السياسية «مدخلا للتحول نحو التعددية السياسية في الجزائر، حيث "كشفت هذه الأحداث هشاشة النظام السياسي والأزمة التي يعيشها وعدم فعالية الصيغة السياسية التي كانت متبناة، ولخصت الأحداث وانعكاساتها السياسية الأزمات التي تراكمت في ظل نظام الحزب الواحد وكانت انطلاقة لمرحلة جديدة كانت سمتها الأساسية التغير في طبيعة النظام السياسي، وظهور صيغة بديلة جسدتها الإصلاحات السياسية والإقرار بالتعددية السياسية» (قبي، 2003، ص.101)

كانت الجزائر المستقلة تعتمد على نظام الحزب الواحد، الذي كان متشابكا مع دواليب السلطة إلى غاية دستور 1989، حيث تم «إطلاق الحريات السياسية وعلى رأسها حرية تأسيس الأحزاب السياسية التي كانت تحت اسم الجمعيات ذات الطابع السياسي،

ثم في التعديل الدستوري 1996 أصبحت تسمى الأحزاب السياسية». (غالم، 2014، ص.ا).

والجزائر كغيرها من الدول عرفت تطوراً سياسياً في ظروف تاريخية قاسية، قادتها في النهاية إلى التخلص من النظام الأحادي وتبني التعددية الحزبية وفكرة الديمقراطية السياسية، فمسار التحول الديمقراطي في الجزائر كان مرهون بوجود أحزاب سياسية فاعلة تسعى جاهد للتخلص من سيطرة الحزب الواحد والدخول في التعددية الحزبية بكل ما يحمله هذا المصطلح من أفكار ومبادئ. فمن بين الأحزاب التي ظهرت آنذاك نذكر حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، انبثق عن الحركة البربرية، ويعتبر أول حزب يتم الإعلان عن تأسيسه بعد أحداث أكتوبر في تيزي وزو يوم 89/02/10 واعتمد رسميا في 89/09/06. يركز الحزب على ضرورة الاعتراف بالتعدد الثقافي في الجزائر والأمازيغية كلغة وطنية، و من أهم انتقاداته لدستور 1989 إهماله للبعد الأمازيغي و تركيزه على عروبة الجزائر فقط». (قبي، 2003، ص.133)، إضافة إلى حزب "الطليعة الاشتراكية الذي يؤكد على ضرورة« ترقية اللغة البربرية باعتبارها تعبر على خصوصية الشعب الجزائري، على أن اللغة الوطنية هي العربية». (قبي، 2003، ص.134)

لكن رغم الإصلاحات التي عرفها النظام الدستوري الجزائري ابتداء من سنة 1989 و تكريس التعديدية الحزبية إلا «أن ذلك لم يغير شيئا من الطبيعة الرئاسية للنظام السياسي الجزائري » . (أومايوف، 2013، ص.339).

في الحقيقة بعد انفجار أحداث 1988 ، دخلت الجزائر في « دوامة من العنف المسلح الذي تطور بسرعة عقب إلغاء الانتخابات التشريعية عام 1991 و لجوء الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى استخدام العنف، و هذا بهدف تقويض النظام و الاستيلاء على السلطة ». (الصيداوي، 2001، ص.54)، فإثر هذه الانتخابات، تم "فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بغالبية المقاعد في معظم جهات الوطن، إذ حصلت على أكثر من 4.5 مليون صوت بمعدل 35.2% من المسجلين في الانتخابات و بنسبة 54.2% من المصوتين. » (العياشي، 1999، ص.11) و لكن و كما هو معروف قررت الدولة «توقيف المسار الانتخابي و إلغائه. و هكذا كان انقلاب 11 يناير 1992 أصل العنف السياسي الذي أغرق الجزائر في الدماء و أوقعها في حداد منذ عشرين سنة. » (رمضاني، 2012، ص.49).

و لا يمكننا « تناول مسألة العنف في الجزائر دون الرجوع إلى الأحداث التي ميزت العشرية 1990- 2000 ». (Bouatta, 2016, p.1) ، أو ما يعرف بـ «المأساة الوطنية » في المصطلح الرسمي. (Dutour, 2007, p.73) ، و بينما كانت الجزائر غارقة في وضع متأزم، هوت بشكل عنيف في « دوامة عنف بثت بصورة متلاحقة، شعورا عاما بالخوف و انعدام الأمن، فخلال أكثر من عشر سنوات تعرض أفراد وجماعات معزولة، رجال ونساء وأطفال إلى هجمات تكاد لا تميز أهدافها أو كانوا ضحايا اعتداءات عمياء ومجازر و عمليات اختطاف و سجن و تعذيب و ذلك بسبب محاولة فرض دولة إسلامية بالذعر ». (Touati, 1995, p.7)، فواجهت بذلك الجزائر في التسعينات «حرب داخلية » . (Lacoste-Dujardin, 2015, p.13) في حين وصف مارتينز (Martinez) (1998) هذه الفترة بالحرب الأهلية.

و يقر بوكرع (Boukra) (2006) أن الإرهاب الذي مس الجزائر هو « عبارة عن نوع من العنف السياسي أعمى يمارس من طرف مخالفين للقانون ضد جمهور مدني من أجل خلق إحساس بالذعر ». (Boukra, 2006, p.12)

و تناسب فترة التسعينات ما سماه القاضي (El Kadi) (2003) «حرب ذات شدة أقل » وبـ «حرب بدون نهاية » . (El Kadi, 2003, pp.11-12) و التي خلفت «40000 قتيل ما بين جانفي 1992 و جانفي 1995. » (Addi, 1995, p.65). في حين يتكلم Stora (2001) عن « رقم رسمي قدم من طرف الدولة حول حصيلة العشرية ألا وهو 100 000 ضحية. » (Stora, 2001, p.7) و هو نفس الرقم الذي يؤكده عليه بوكرع (Boukra) (2002) حول العنف الذي شهدته الجزائر في التسعينات.

عن هذا الفترة يتساءل روبرتز (Roberts) (2014) عن كيفية «تفكير وتعريف الصراع الدامي في الجزائر؟ وكيف شرح النزول الخطير في العنف منذ جانفي 1992؟ » (Roberts, 2014, p.41). فعموما العنف «الذي يمزق الجزائر منذ 1992 ضرب الرأي العالمي بمداه و مدته » . (Addi, 1999, p.7)، في حين تمثل «السنوات التسعينات في الجزائر حرب بدون نهاية. » (El Kadi, 2003, p.11) لأنه منذ 1991 تعيش الجزائر في الذعر و الهلع أين« واجه الملايين من الجزائريين جماعات مسلحة فلوحة الجزائر داكنة، أليمة وحزينة. ورغم كل الكتابات التي خصصت لها إلا أنه يبقى

نوع ما غير مقروء.» (Dahmani, 1999, p.156) و هذا ما جعل غراغيوم (Grandguillaume) (1995) يتحدث عن «نوع من الذهول الذي ميز الرأي العام أمام التطور المأسوي للحالة في الجزائر.» .(Grandguillaume, 1995, p.12).

إن الأزمة تركت آثاراً وخيمة على المجتمع و حصيلة ثقيلة جدا، فضحايا الأزمة بحسب التقديرات « لا تقل عن مائة ألف وهناك مفقودين لا نعرف عددهم بالضبط وهناك مهاجرين خارج الوطن يعدون بميئات الآلاف، ومهاجرين داخل الوطن هروبا من الإرهاب يعدون بمئات الآلاف كذلك ». (مهري، 1997، ص ص. 4 - 5)، إلى جانب «مئات الآلاف من الموتى، عشرات الآلاف من الجرحى، نجد ملايين من الجزائريين مصدومين، و خسائر مادية معتبرة». (Katache, 2012, p.12)، ومن جهته يؤكد عدي (Addi) (1997) أن «حجم الكارثة الإنسانية يستوجب منا إنتاج تفكير بدون طابوهات، لأن الجزائر هي عبارة عن آنا جماعي و لابد من النظر إليه، كما هو.» (Addi, 1997, p.43)

في حين يعتبر بلخدر Belakhdar (2010) أن ارصان الصدمات في الجزائر معلق مما ينجر عنه عدد معتبر من الصعوبات.

و لن يتردد أي مختص في الصحة النفسية أو العقلية في القول إن وضعية الجزائر بطبيعة ما حدث فيها ستترك « آثاراً خطيرة على المعاش النفسي اليومي للفرد الجزائري و على التنظيم الاجتماعي، و قد تمتد هذه الآثار إلى عدة أجيال، خاصة إذا نظرنا إلى حجم الخسائر المادية و البشرية المسجلة مقابل غياب المساعدات الجدية والمناسبة ». (Ait Sidhoum, 2000, p.20)، في حين يتحدث جربال (Djerbal) (2003) من جهته عن « الصدمة و المعاناة الناجمة عن العشرية، إضافة إلى الاختراق (الاقتحام) النفسي، الحداد المتعدد و الصعب إرصانه و انقطاع الرابط الاجتماعي أو الأبوي ».(Djerbal, 2003, p.5) ، من الواضح أن الأحداث التي عاشتها الجزائر خلفت «معاناة نفسية عديدة متنوعة و التي يمكن أن تكون مقعدة ».(Chakali, 2003, p.71). ولا يختلف رأي بوعطة (Bouatta) (2003) عمّا سبق بحيث تؤكد على أن «حالة الكارثة الاجتماعية خلفت انعكاسات على الصحة العقلية و الجسدية لكثير من الجزائريين». (Bouatta, 2003, p.101) ، فإن كل هذه الأحداث التاريخية التي عرفتها البلاد سوف وكما يؤكده سي موسي (Si Moussi) (2003) تنتج « حتميا معاناة و اضطرابات نفسية و لهذا لا بد من دراستها. » (Si Moussi, 2003, p.109) ، ترجع نشأة هذه الأمراض هنا

إلى نظام آخر مختلف عن «التحديد الضمن- النفسي أي ترجع إلى السياسي. » (Kaes, 2012, p.243)

في هذا النطاق أنجز العديد من المختصين النفسانيين الجزائريين بحوثاً ورسائل جامعية و كتباً توضح المخلفات النفسية- المرضية للعشرية السوداء (Belarouci, 2009 ; Bouatta, 2007 ; Khaled, 1999 ; Mekiri, 2011 ; Oukaci, 2007 ; ; Sadouni, 2011). فعموما « المأساة الجزائرية هي حقيقة مرتبطة بصدمات فظيعة. » (Mongin, 1995, p.6) و في هذا الإطار يعرف أرون (Aron) (1962) الإرهاب ك «فعل عنيف يسمى إرهاب لما آثاره النفسية تكون خارج نسبة بالمقارنة مع نتائجة الجسدية البحتة. » (Aron, 1962, p.176). و إلى جانب الخسائر الجسدية و المادية و إضافة إلى المعاناة النفسية، خلفت العشرية الجزائرية المميتة على حسب موساوي (Moussaoui) (2003) فقدان المراجع، كما ترك العنف الذي ساد في الجزائر «آثاراً لا تمحى على الجسد و الأرواح كما أصيبت الجروح الوجدانات و التصورات المشتركة إلى حد الأن ». (Moussaoui, 2003, p.134). و يسمح مفهوم «"الأثار المشعة" للعنف الاجتماعي بفهم أمور مهمة فيما يخص انعكاسات العشرية. » (Gampel, 2012, p.108)

كما عملت الأحداث الأخيرة في الجزائر (أحداث التسعينيات) وخاصة مذابح في القرى على زيادة طلب العلاج لـ "مكافحين القدماء في الجزائر الذين عانوا من رجوع الصور الاجتياحية للحرب". (Audet & Katz, 1999, p.217) و هكذا أصبحت الجزائر «مصدومة بسبب حربين، الحرب الأولى تدعى حرب التحرير و الثانية من أجل طرد الشياطين الداخلية. » (Perron, 2017, p.8)و بعد ذلك تبدو « الجزائر اليوم هادئة ولكن هناك عدة مطالب شرعية تعكس سوء حالة البلاد. » (Ramdan, 2011, p.241) بحيث قام الدرك الوطني بإحصاء « 10000 اعتصام و حركات اجتماعية أو أعمال شغب ابتداءً من سنة 2010 ». (Mouffok, 2011)

ونذكر على سبيل المثال « أحداث جانفي 2011، دائما على شكل مظاهرات وتمرد، بحيث عرفت الجزائر في جانفي 2011 أحداث تمرد عنيفة وهي شبيهة نوعاً ما بأحداث أكتوبر 1988، و هذا ما خلف خسائر مادية معتبرة؛ العديد من الموتى والجرحى» (Katache, 2012, pp.108-109) ، إن شهر جانفي تميز ب « عدة أعمال شغب خاصة في الجزائر و عدة حروق ذاتية. » (Goumeziane, 2011, p.471).

وبفعل استمرار هذه الأعمال الشغبية و أخيرا أحداث عرفتها معظم ولايات الوطن في (2011) ننظم إلى فكرة بن أعمر (Benamar) (1999) التي تعتبر أن المجتمع الجزائري «عاش ومازال يعيش أحداث عنيفة، تنص عن توترات مختلفة.» (Benamar, 1999, p.327).

والعنصر الأساسي المسبب لذلك هو «الارتفاع الفجائي والمهم لأسعار الزيت والسكر، فهذه الحركة التمردية لديها مطالب اجتماعية وسياسية بدأت في وهران وولاية تيبازة قبل أن تنتشر في كافة البلاد، و شهدت حوالي ثلاثين محاولة الحرق الذاتي. كما سببت هذه الحركة موت خمسة أشخاص.» (Chena, 2011, pp.105-106)

إن أعمال الشغب في 2011 مست كامل أنحاء البلاد، من بينها منطقة القبائل، بحيث «ارتفاع أسعار المواد الأساسية أدى إلى أعمال شغب تتمثل خاصة في قطع الطرقات الوطنية وحرق المباني العامة في منطقة القبائل مثل محكمة أقبو». (Ait Larbi, 2011, p.13). و هناك العديد من المظاهرات للتنديد «بارتفاع الأسعار في العديد من المناطق في الجزائر منها منطقة القبائل و تخلف على الأقل 5 موتى وذلك في جانفي 2011 ». (Zirem, 2011, p.259)، و هذا ما دفع إلى ملاحظة أن في الجزائر هناك «ثقافة سياسية للعنف أو الحرب ». (Stora, 2008, p.116)، و وصف البلاد ب «جزائر المرارة. » (Nouschi, 1995, p.8)، فالجزائر الحقيقية هي « جزائر في معاناة. » (Lamloum & Ravernel, 2003, p.10) لكن سرعان ما توقفت هذه الأحداث على خلاف بلدان مجاورة، و ذلك بسبب «عدم رغبة البلاد الدخول في العنف، لا سيما بعد عشرية كاملة من الحرب الأهلية. » (Jahény & Wilson, 2014, p.142).

لكن ابتداءً من 2015 بدأت الجزائر تشتعل من جديد. تتشكل شعوب المنطقة المغاربية من مكونات عرقية مختلفة ومتنوعة، ولطالما جسدت، باستثناء ليبيا، معاني التعايش والسلم بين طوائف البلد الواحد، إلا أن ما وقع مؤخرا في الجزائر من حرب شوارع بين العرب السنة والأمازيغ الإباضيين بمنطقة غرداية، يعد استثناء للصراعات العرقية والطائفية التي نجدها مشتعلة في بلدان الشرق الأوسط. تركزت المواجهات العنيفة بين العرب السنة والأمازيغ الإباضيين في مدينتي بريان و القرارة، حيث خلفت العشرات من القتلى و الجرحى بالإضافة إلى تخريب و حرق عشرات البيوت و المحلات التجارية لكلا الطائفتين السنية و الإباضية. وفي الواقع ليست هي المرة الأولى التي تنشب فيها مواجهات بين العرب والأمازيغ في ولاية غرداية، وإن لم تبلغ

درجة العنف كالتي بلغتها في الفترة الأخيرة، فقد سجلت اشتباكات بين الطرفين منذ مارس 2008، وفي نهاية نفس السنة عرفت مواجهات خلفت ثلاثة قتلى. ورغم أن المواجهة تتخذ طابعا مذهبيا عرقيا، إلا أنها في الحقيقة حسب المحللين تعود إلى تناقضات اجتماعية وثقافية بين سكان غرداية، وإلى التهميش الذي يطال على المنطقة. يقول الخبراء إن الصراع بين الطائفتين يتخذ بعدا اقتصاديا واجتماعيا في جذوره. وقد توفي 22 شخصا وأصيب آخرون بجروح خلال اشتباكات بين مجموعات من الشباب بغرداية منذ تجدد هذه الأحداث بالمنطقة مطلع يوليو الجاري حسب حصيلة جديدة أوردتها الولاية. (بن الشريف، 2015) .في حين هناك تساؤل عن أحداث غرداية الدامية . هل هو صراع اجتماعي بثوب مذهبي؟ فبعد عودة الهدوء تدريجيا إلى غرداية الجزائرية بعد أحداث مذهبية دامية أودت بحياة العديد، ومع عودة الهدوء بدأت الأسئلة تُثار حول الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية الحقيقية وتوظيف الأحداث سياسيا في الصراع على السلطة في الجزائر. (زنيند، 2015) ونختم بالأحداث الأخيرة التي عرفتها الجزائر وتتجلي في أعمال العنف في الأيام الأولى لسنة 2017، وذلك تنديدا بقانون المالية الجديد.

2- نظرة التحليل النفسي للعنف

2-1- العنف حسب فرويد (Freud)

عندما نذكر، مدرسة التحليل النفسي، لابد «من الإشارة إلى فرويد (Freud) فهو الذي وضع أسس هذه المدرسة ويكون العدوان أحد أهم جوانب نظريته العامة لتفسير السلوك البشري ولأنه تأثر كثيرا بالنظريات التي كانت تسيطر على تفكيره العلمي في عصره. فإن الداروينية بارزة في أعماله، فغلب على فرويد (Freud) العوامل البيولوجية الوراثية في شكل سيطرة الغرائز والدوافع والحاجات، وأرجع العدوان لغريزة الموت التي تتقاسم وغريزة حب الحياة السيطرة على جميع نزوات الحياة البشرية.» (التير، 1995، ص.36).

-التشاؤم الفرويدي

نلاحظ في أعمال فرويد (Freud) (2002/1915) أن تفكيره حول الحرب مصبوغ بنوع من الخيبة. كما يبدو التشاؤم في نصه كبيراً بحيث يعبر عن شعوره المرير من الحرب العالمية الأولى و يؤكد قائلاً: « عندما تكون دولة ما في حالة حرب، تسمح لنفسها باقتراف أنواع شتى من العنف و الفظاعات التي يمسُّ أصغرُ أشكالها المرءَ في

شرفه» (Freud, 1915/2002, p.6) و يضيف و كأننا نشهد « اندثار المكتسبات الأخلاقية بلمح البصر، فلا يبقى لنا إلا التصرفات النفسية الأكثر بدائية وقدمًا والأكثر وحشية» (Freud, 1915/2002, p.15) فأدت الخيبةُ و الانهيارُ الناجمان عن الحرب إلى التساؤل عما إذا كان لم يكن المرء، في نهاية المطاف، مرغمًا على سلوك طريق البدائية الانفعالية و يؤكد على « ألا ينبغي التسليم بأن سلوكنا حيال الموت، كما تفرضه علينا حياتُنا الحضارية حاليًا، يتخطَّى قدراتنا النفسية، حتى يجب علينا غضُّ الطرف عنه والانحناء أمام الحقيقة؟ » (Freud, 1915/2002, p.27)

يستعمل فرويد (Freud) «مرة واحدة لفظ العنف بمناسبة نص له "لماذا الحرب؟" (2006/1933) في إجابته لرسالة إينشتاين (Einstein) الذي طرح له السؤال التالي "ماذا يمكن فعله من أجل إبعاد الرجال من حتمية الحرب؟" وهنا يعبر عن عجزه ويدعو إلى استبدال كلمة "القوة" بـ "العنف"(Freud, 1933/2006, p.10)، ويعترف بإيمانه بغريزة الكراهية والهدم التي يرجعها إلى غريزة الموت الموجودة في كل كائن حي وتعارض غريزة الحياة كما تعمل على" إرجاع كل ما هو حياة عضوية إلى حالة لا عضوية" وهذا العنف الذي ينبع من غريزة الموت، يختلف عن العدوانية السادية النابعة من مبدأ اللذة والجنسية.» (Feder, 1996, p. 72)

كما يضيف فرويد (Freud) (2006/1933) «إن الحق والعنف يبدوان لنا اليوم كنقيضين، ومع ذلك فإنه يمكن أن نتبين بسهولة أن الواحدة منهما نشأت عن الأخرى». (Freud, 1933/2006, p.10). ويضيف فرويد (Freud) (2006/1933) «يذهب فرضنا إلى أن الغرائز الإنسانية من نوعين فحسب: غرائز تسعى للحفاظ على النوع والتزاوج التوحيدي – ونسميها غرائز شبقية، بالضبط بالمعنى الذي يستخدمه أفلاطون في محاورة «المائدة» ونسميه نحن غرائز جنسية، مع مد نطاق الشعور الشائع للجنسية عن قصد، وغرائز أخرى تسعى إلى التدمير والقتل والتي نصنفها معاً على أنها غرائز عدوانية أو تدميرية. وما هذا كما ترى سوى إيضاح نظري للتعارض المألوف بين الحب والكراهية» (Freud, 1933/2006, p.15).

والحال أن هذه المقدمات الجديدة هي التي قادت فرويد (Freud) إلى الافتراض، أخيراً، بأن الغريزة التدميرية تعمل داخل كل كائن حي وهي تكون من أجل تحطيم الحياة وردّها إلى حالها الأصلية، حال المادة غير الحية. ومن هنا فإنها تستحق أن تسمى غريزة الموت، بينما تمثل الغرائز الشبقية/ الجنسية الجهد من أجل الحياة.

إنه يحافظ على حياته الخاصة من طريق تدمير حياة خارجية وفي النهاية إذ يربط فرويد (Freud) إفلات الإنسان من الغرائز التدميرية بفعل الثقافة فيه، لأن الثقافة تفعل قبل أي شيء آخر، في مجال تقوية العقل الذي يتحكم في الحياة الغريزية، محدثاً انعطافة أساسية في وجود الدوافع العدوانية. إذا كان الذين يحوزون الثقافة والعقل يتحولون إلى بشر مساكين، «كم من الوقت يتعين علينا أن ننتظر قبل أن يصبح باقي البشر مسالمين أيضاً؟ قد لا يكون من قبيل التفكير الطوباوي أن نأمل بأن يؤدي الموقف الثقافي من ناحية، والفزع المبرر من عواقب الحرب من ناحية ثانية، إلى وضع نهاية لشن الحروب. أما بأية سبل وعلى أية خطوط جانبية سيتم هذا الأمر، فذلك أمر لا قبل لنا بتخمينه. ولكن شيئاً واحداً يمكننا أن نقوله: إن كل ما يدعم نمو الثقافة يفعل في الوقت نفسه ضد الحرب .» (Freud, 1933/2006, pp.17-20).

كما يصف فرويد (Freud) (2002/1929) نظرته للإنسان المتشائمة و هي بعيدة عن المثالية و يقول:« إن الإنسان ليس ذلك الكائن المبتهج ذات القلب المملوء بالحب، الذي نقول أنه يدافع عن نفسه لما نهاجمه، لكنه بالعكس الكائن الذي يحمل على حساب معطياته الغريزية كمية معتبرة من العدوانية، بالنسبة إليه إذن الأخ في الإنسانية ليس فقط مساعد و موضوع جنسي ممكن لكنه أيضا موضوع إغراء، الإنسان بالطبع محفز لإشباع حاجته للاعتداء على حساب نظيره، باستغلال عمله بدون مقابل، باستعماله جنسيا دون موافقته، اكتساب ملكيته، بإلحاق به معاناة، بتعذيبه و قتله ».(Freud, 1929/2002, p19)

حسب فرويد (Freud) «هناك ضيق وانزعاج الإنسان في الحضارة الحديثة، ومن أجل القضاء عليه يقترح نظرية الرابط الاجتماعي مبنية على تعويض بالقانون القوة من أجل كسب، إرضاخ أو هدم.» (Askofaré & Sauret, 2002, pp. 241- 246)

حسبه «القاعدة التي ترتشي عليها كل البناء هي المصادر الثلاثة الأساسية الأصلية للمعاناة الإنسانية. يقول: «المعاناة تهددنا من الاتجاهات الثلاثة، في جسدنا الذي مستقبله الانحلال والتدهور، ولا يمكن له حتى التخلي عن منبهاته التي هي الآلام والقلق، من جهة العالم الخارجي الذي يحتوي على قوى لا تهزم من أجلب التشبث والقضاء علينا، والتهديد الثالث يأتي من علاقتنا مع الناس، الآخرين والمعاناة الصادرة من هذا المنبع هي الأصعب بالنسبة إلينا ولا يمكننا تجنبها لأن أصلها الآخر». (Freud, 1929/2002, p.21) و نستخلص هنا « عمودين متعارضين؛ عموداً طبيعياً فيه العالم

الخارجي و الجسد، وعموداً اجتماعياً فيه العلاقات مع البشر الآخر، وما بين الأعمدة نجد عنصراً آخر حاملاً أيضا للتهديد و المعاناة ألا و هو الثقافة و الحضارة. » (Freud, 1929/2002, p. 37)

نخلص إلى أن فرويد (Freud) حاول إلصاق التحليل النفسي بالأحداث الاجتماعية والسياسية من خلال العديد من أعماله (1912، 1915، 1921، 1927، 1929، 1933، 1939). يحاول في كل هذه الكتب فهم ما هي الأسباب اللاشعورية التي تؤدي إلى الفعل إلى جانب "الاختلافات الصغرى"(Freud, 1929/2002, p.68) و"الإحباط" (Freud, 1933/2006, p.105) كعوامل مرور إلى الفعل. كما تحدث فرويد (Freud) في أعماله لتفسير العنف عن نزوة الموت التي تؤدي إلى العنف والعدوانية. في حين يعرف لابلانش و بونتاليس (Laplanche et Pontalis) (1994) نزوات الموت كالتالي «في إطار النظرية الفرويدية الأخيرة للنزوات، تشير إلى فئة أساسية من النزوات التي تعرض نزوات الحياة و التي ترمي إلى الخفض الكامل للتوترات، أي إعادة الكائن الحي إلى حالة اللاعضوية (...) هي ملتفتة أولا نحو الداخل و الهادفة إلى الهدم الذاتي، فإنّ نزوات الموت تتجه ثانويا إلى الخارج، فتظهر حينئذ على شكل نزوة العدوان أو الهدم.» (Laplanche & Pontalis, 1967/1994 , p.371).

نخلص مما سبق حول التفسير الفرويدي للعنف إلى أن تفكيره عند فرويد (Freud) مر بمراحل؛ فبعدما أن أرجع العنف والعدوانية إلى كبت الميول الجنسية المعروفة بالليبيدو، وتفسير السلوك العنيف كاستجابة بديلة أو صورة من صور التعبير الرمزي للعقد النفسية المكبوتة، أصبح ينظر إلى العدوان على أنه استعداد غريزي مستقل في سلوك الإنسان و يربط العدوانية بنزوة الموت.

2-2- العنف حسب برجوري (Bergeret)

بعد عرض وجيز للتفكير الفرويدي حول العنف، ننتقل إلى عرض تفكير برجوري (Bergeret) و ذلك لأنه يعد من المحليلين النفسانيين المعاصرين الذين خصصوا مكانة كبيرة لموضوع العنف في بحوثهم، و التي سوف تقدم لنا عناصر إجابة لفهم ظاهرة العنف و يتجلى ذلك خصوصا في كتابه المعنون « La violence fondamentale » (1984).

يعتبر برجوري (Bergeret) العنف أنه عالمي (universel) وهو موجود في حالة كامنة عند كل فرد، مهما كان عمره، جنسه، صفتة الاجتماعية أو عرقه. و يرى برجوري

(Bergeret) (1996) على أن «العنف يجد مكانه من جهة جماعة النزوات المسماة بحفظ الذات ». (Bergeret, 1996, p.217) و يضيف نفس الباحث أن العنف الأساسي لا يناسب إلا دفاع الشخص للحفاظ على وحدته الجسدية أو العلائقية أي نوع من غريزة الدفاع أن العنف الطبيعي لا يتحول إلى عدوانية إلا في حالة أين يقدر الفرد (حقا أو غلطا) أنه اعتدي عليه ». (Bergeret, 2014, p.IX)

يناسب العنف «نزعة غريزية فطرية موجهة لتكون مدمجة تدريجيا في نهايات إنسانية أخرى لما يصل الفرد إلى تمرين حر لقدراته للحب و منشأة لكنه يبقى من الواضح أن كل الكائنات الإنسانية لا تصل سحريا إلى نفس درجة الإدماج لعنفهم الطبيعي البدائي. » (Bergeret, 2008, p. 97) .

إن لفظ العنف « لغوياً لا يحمل أي اعتبار عدواني، بل الكلمة تبعث إلى "رغبة العيش" فلا تعني رغبة الأداء بالطبع لابد من التمييز بين العنف الطبيعي والعالمي اللازم للنجاة وموجود منذ الولادة، و بين العدوانية الحقيقية التي تبرز عند الإنسان فيما بعد (لاحقا)، و التي هي ذات مظهر أكثر تعقيدا خلال مختلف المراحل التي تؤدي إلى تكوين شخصية خاصة. و يكفي أن يحس الفرد بأنه مهدد من طرف موضوع خارجي نوع ما محدد و مهدد بصفة أساسية، حيوية و وجودية إذن، في الحالات الحادة المهم هو المصلحة المباشرة و الشاملة للفرد، و مصير الموضوع الخاضع للعنف لا يهم الفرد، فالفرد ليس له رغبة محددة لإيذاء الموضوع، على الرغم من أن استجابات الفرد تؤدي بطريقة مباشرة أم لا إلى هدم و تدمير الموضوع، هذا لا يدخل في اهتمامات الفرد الذي يهدف إلى الحماية الشخصية. في العنف الطبيعي لا يسمح للفرد بمزايا لأنه بالنسبة إليه ما هي إلا استجابة دفاعية مستخدمة بدون فرح ولا ذنب.» (Bergeret, 2008, pp. 98-100)

يبقى العنف الطبيعي «كاستجابة بسيطة أوتوماتيكية من نمط بدائي جدا يهدف إلى تخفيض قلق الهجوم أو حتى التهديم من طرف "آخر" غير محدد وغير معروف جيدا بعد، استجابته لا تحمل في ذاتها أي إشباع من طبيعة لبيدية للفرد. فعند دراسة كتابات التحليل النفسي حول موضوع العنف نجد الصياغات التي تحاول تصميم العنف كمظاهرة للعدوان، لنزوة الموت أو كيان نزوي مختلف مكسي لايروس أو التنانوس (Bergeret, 1984). هناك وجهات نظر اصطلاحية أخرى تبعته إلى النرجسية (Green, 1983., Decobert, 1984). أو إلى آلية خاصة بحالة دون الدفاع للطفل وإلى

الضرورة التي يتواجد فيها لاستقبال معاني (دلائل) من أنا أبوي بديل. (Aulagnier, 1975-1985) و هناك من هو متأكد أن أصل العنف راجع إلى التناقض النفسي (Diatkine)أو إلى المفارقة. (Anzieu, 1975 & Decobert, 1984). » (Puget, 1989, p.11)

يشير العنف عند العيادي إلى مأزق طلب تم خنقه ويأس نداء بدون إجابة. » (Forget, 2007, p.5). إن العنف هو فعل أو خضوع، فالأفراد يستجبون لإرغام نفسي-نزوي، اجتماعي-بين شخصي. (Martin-Mattera, 2011) في حين يتحدث قايس (Kaes) (2012) عن ثلاثة أشكال للعنف عند المحللين النفسانيين، ألا و هي العنف الأصلي، العنف الأساسي (أو العنف البدائي) و العنف المدمر. يعتبر الشكلين الأولين عنف بناء ملازم لسيرورة الحياة وينبع من الرغبة، في حين يعتبر النوع الثالث نابع من نزوة الموت.

وبالتالي العنف كما ينظر إليه التحليل النفسي هو في «علاقة وثيقة مع الرابط الاجتماعي، بحيث نجد مفهوم العنف في العلاقات البين- إنسانية على شكل أربعة مظاهر أساسية ألا وهي الاعتداء، السيطرة، الكره، الدمار والهدم. والعلاقة هنا مع نزوة الموت الفرويدية واضحة، بحيث عنده تظهر عياديا نزوة الموت كنزوة اعتداء، أو نزوة هدم ولا نميز بين هاتين النزوتين إلا بهدفها، بحيث غاية نزوة الاعتداء هي حصر الاجتماعية في سيطرة واحد بينما نزوة الهدم هدفها هو تدمير الموضوع والقضاء عليه أو القضاء على الفرد نفسه.» (Askofaré & Sauret, 2002, pp. 257- 258) .

لقدد تعددت داخل مدرسة التحليل النفسي التيارات التي تناولت موضوع العنف. فهناك من يربطه مع الفضاءات النفسية الفردية وهنالك من يضع له علاقة مع الفضاءات البين-نفسية والفضاءات الجماعية المشتركة.

والعديد من المحللين النفسانيين اليوم لا سيما قايس ((Kaes (2012) يفسر العنف بالرجوع إلى مفهوم "سوء الكون" (le mal-être). فللعنف مصدرين: الأول هو الفرد والثاني يكمن في المؤسسات والمجتمع.

وبالتالي يمتل التحليلي النفسي الكلاسيكي والحديث شبكة قراءة تنير لنا كنفسانيون الميكانيزمات التي تختفي وراء العنف.

3- قراءة نفسية للعنف في الجزائر:

ننتقل إلى آراء النفسانيين. تتحدث أرزقي (Arezki) (2004a) على «النقص في تحكم الدولة، استقالة الأبوين، الأساتذة، الإحباط في كل الجوانب، الشعور باللا-

وجود،الهوية العائمة، غياب المراجع، الحاجة إلى الفعل هي عوامل تقود الشاب إلى الدخول في جماعة (مسلحة) و الاندماج في القيم التي تدافع عنها، فيتم تبديل الأنا الفردي بالأنا الجماعي الذي غالبا ما يكوم مصدر عنف. » (Arezki, 2004a, p.66)أما عند طوالبي- تعالبي (Toualbi - Thaalbi) (2006) فإن العنف في الجزائر « يدرجه من نزعة الجزائري الطبيعية في تفضيل دائما في أفعاله و تصوراته مواضع في نصف الطريق للتقليد- الحضارة، التحفظ - التجديد الثقافي، المقدس- المدنس ». (Toualbi - Thaalibi, 2006, p.11)، إلى جانب « الإحساس بالاضطراب و العجز من طرف كل جزائري يوميا أمام عدم قدرة الممثلين الاجتماعيين و السياسيين إلى اقتراح حل "للخروج من الأزمة". هذا من أجل القول إلى أي درجة اليأس الجماعي وصل اليوم إلى ذروته، وحتى إن كان اليوم يظهر على شكل حركات مزاجية اجتماعية. نحن اليوم في حالات "أزمة الثقة" للشعب اتجاه حكومة تعاني من نقص الشرعية السياسية والنجاعة الاجتماعية، فالدفاع الملائم هو استعمال سلسلة من السلوكات العفوية لتبديل المعيار الاجتماعي وتسخيره أمام النشاط والفعل العمومي. » (Toualbi- Thaalibi, 2006, p.13) كما يشير إلى « الضرر العميق للعنف و يفسر ذلك مصطلح سلفه عن Durkheim ألا و هو "الفوضى" (anomie) الذي يشير إلى حالة غياب أو تفكك المعايير الاجتماعية أو القيم المشتركة لجماعة. فالشعب الجزائري لم ينجُ من أي شيء، لا من العنف السياسي وسوء الحكم، لا من الكوارث الطبيعية المتكررة، لا من الفشل الاقتصادي والاجتماعي و لا من الحياة السيئة للشباب. » (ToualbiThaalibi,2006, p.12) ويشير مرداسي (Merdaci) (2009) على سبيل المثال أن العنف هو عبارة عن عمل حداد الذي يطلق سراح الأفراد من العوائق التاريخية و الذكريات و يضيف أن في العنف هناك جزء من الحياة و هذه الحياة هي موضوع استثمار دفاعي مكلف كما ربط مختلف أشكال العنف كتعبير لمطالب إصلاح سياسي نفسي-إجتماعي و وجداني، و يؤكد أيضا مرداسي (Merdaci) (2012) أن بعض السلوكات العنيفة هي « أسوار اتجاه توعك للكون » . (Merdaci, 2012, p.18)

و إلى جانب ذلك أظهرت بحوث جامعية أن ما حدث في الجزائر في عشرية التسعينات من أعمال إرهابية لديه عواقب نفسية خطيرة على الفرد، العائلة والجماعة و تتمثل لاسيما في الصدمة النفسية و الصدمة العائلية (Aiteur, 2010 ;

; Mekiri, 2011, ; Belarouci, 2009, 2010, 2013, 2014 Boudarène, 2001, 2002 ; Sadouni, 2011) Oukaci, 2007 ;

وأخيرا ومن وجهة نظر تحليلية نفسية يتعلق العنف في الجزائر ب «فيضان وتفريغ نزوي وصراعي. فالمآسي الجماعية في الجزائر تدل على فشل متعلق باقتحام الرغبة والفرد في المجتمع التي كانت من قبل خاضعة بحياة و إلزامات جماعية. » (Si Moussi & Si Moussi-Ourari, 2017, p.13)

ومن خلال قراءاتنا وأبحاثنا المتعددة حول مسألة العنف في الجزائر تبين لنا أن العنف المرتبط بالتاريخ الجماعي الذي مس البلاد يؤدي إلى تسجيل الروابط البين-الذاتية في سجل علم النفس المرضي ومن أجل فهم هذه الاضطرابات لابد أخذ بعين الاعتبار الأحداث الصدمية التي تنحدر من الواقع ولا بد أيضا من إقامة علاقة بين البعد الذاتي والبعد الخاص بالروابط الاجتماعية. كما تبين لنا أن كل الأنواع العنف هذه التي تسود الجزائر بدرجات مختلفة، تغذي عند المهمشين في المجتمع إحساساً بالدونية، يعبر عنه بأفعال عنف مهدمة ذاتية أو موجهة نحو الآخر، وبالتالي نرى تطور ثقافة المعارضة في الشوارع، خاصة عند الشباب، هذه الثقافة تملأ الفراغ الناتج عن البطالة، الأعمال الهشة وعدم الاستثمار الاجتماعي. لذلك لا يمكن فهم الظاهرة وتحليلها بمعزل عن سياقها الاجتماعي بالمعنى العام، فظاهرة العنف السياسي ارتبطت بظروف الأزمة المجتمعية التي أخفق النظام في التعامل معها بفعالية وكفاءة، وما ترتب عنها من تناقضات وإحباطات ولدت ردود أفعال عنيفة.

ومنه نقول إن العنف ظاهرة مركبة متعددة التغيرات، ولا يمكن تفسيرها بمتغير أو عامل واحد فقط، فالمؤكد أن هناك مجموعة من العوامل تتفاعل بل تتداخل وترابط وتؤثر بعضها البعض سلبا أو إيجابا فيما بينها لتفجر أعمال العنف، لذلك يستوجب التطرق إلى عدة نظريات مفسرة له. فيما يخص العنف السياسي توصلنا إلى عزل بعض من الاتجاهات التي تفسر لنا ما حدث في البلاد. فالاتجاه السوسيولوجي يشير إلى حالة الاختلال في النسق الاجتماعي و السياسي و هذا ما يحد من قدرة النظام السياسي على الاستجابة للضغوط و المطالب التي تفرضها البيئة، فإن أعمال العنف التي جاءت على شكل إضرابات، تظاهرات أو أحداث الشغب التي مارستها قطاعات و شرائح من العمال و الطلبة و البطالين كانت مرتبطة أساسا بقضية العدل الاجتماعي و الاحتجاج على الفجوات الاقتصادية و الاجتماعية المجحفة

والمطالبة بتوزيع الثروات توزيعا عادلا، و بالتالي ساد الإحباط الفردي و السخط الجماعي، كما أن استبداد من جانب الدولة يعد إحدى أسباب خلق العنف. في حين الاتجاه السيكولوجي يربط العنف السياسي بحالات الانفعال الساخط والملازم للغضب والقلق والمتمثلة في توقعات وإحباط الناس، فهناك ربط بين الحرمان النسبي وبين ظاهرة العنف السياسي. ومن جهة أخرى توصلنا من خلال هذا العرض، إلى فهم السيكولوجية التي تميز ضحية العنف ولاسيما الذي ينبع من الإنسان.

فأحداث العنف في البلاد خلفت صدمة نفسية فردية وجماعية - عائلية تعكس جرح الجهاز النفسي الفردي والجماعي- العائلي، وتتجلى هذه الأخيرة في تظاهرات على المستوى الفردي والجماعي- العائلي، كما التمسنا إعادة تنشيط للصدمات السابقة (حرب التحرير الوطنية، عنف سنوات التسعينات، عنف الحركات الاجتماعية الماضية في المنطقة) ويناسب هذا ما نسميه صدمة عبر الأجيال.

إن المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها بعض من البلدان وعواقبها النفسية لم تحض بالاهتمام الكافي من قبل العلوم الاجتماعية (خاصة علم النفس العيادي) التي غلقت على نفسها في إطارها الأكاديمي. لذلك لا بد على المختصين في هذا المجال من إقامة جسور اتصال بين علم النفس وأفراد المجتمع وعائلاتهم الذين يتواجدون في وضعية معاناة.

خاتمة:

نعتبر أن كل أنواع العنف التي تسود البلاد بدرجات مختلفة، تغذي عند المهمشين في المجتمع إحساساً بالدونية، يعبر عنه بأفعال عنف مهدمة ذاتية أو موجهة نحو الآخر، وبالتالي نرى تطور ثقافة المعارضة في الشوارع، خاصة عند الشباب، هذه الثقافة تملأ الفراغ الناتج عن البطالة، الأعمال الهشة وعدم الاستثمار الاجتماعي. لذلك لا يمكن فهم الظاهرة وتحليلها بمعزل عن سياقها الاجتماعي بالمعنى العام، فظاهرة العنف ارتبطت بظروف الأزمة المجتمعية التي أخفقنا في التعامل معها بفعالية وكفاءة، وما ترتب عنها من تناقضات وإحباطات ولدت ردود أفعال عنيفة.

كما نستخلص أنه ينبغي لفهم العنف بمنظور تحليلي نفسي لابد من مساءلة المفاهيم الأساسية كالأوديب، النرجسية، مرحلة المرآة، النزوات، الواقع النفسي ومن بعدها الواقع الاجتماعي. نعتبر التحليل النفسي كوسيلة وأداة لا يستهان به للذي يريد

فهم ظاهرة العنف لأنها تقدم بدون شك شبكة قراءة هامة والتي من شأنها معالجة هذه الإشكالية.

قائمة المراجع:

1. أومايوف، م. (2013). *عن الطبيعة الرئاسيوية للنظام السياسي الجزائري*. أطروحة دكتوراه في العلوم السياسة. جامعة تيزي وزو، تيزي وزو.
2. بن شريف، خ. (2015). *خمسة أجوبة تخبرك عن أحداث غرداية الأخيرة بالجزائر 12 جانفي 2015*. عثر عليه في https://www.sasapost.com/the-conflit-betwen-arab-and-amazigh-in-ghardaya-algerie.
3. بن عويشة، ز. (2009). *ظاهرة العنف لدى الشباب الجزائري*. أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع. جامعة الجزائر2، الجزائر
4. رمضاني، ف. (2012). *الآليات السياسية لمعالجة العنف في الجزائر*. مذكرة ماجستير في العلوم السياسية. جامعة الجزائر 3، الجزائر.
5. العياشي، ع.(2000/1999). تأليف مجموعة من الباحثين الفرنسيين -المجتمع والعنف-. *إنسانيات* (10) ، 79-80. عثر عليه في http://journals.openedition.org/insaniyat/814.
6. قبي، ا. (2003). *ظاهرة العنف السياسي في الجزائر*. دكتوراه دولة في علم النفس السياسي. جامعة الجزائر 3، الجزائر.
7. Addi, L. (1995). Violence et système politique en Algérie. *Les temps modernes*, (580), 46-70.
8. Addi, L. (1997). Réflexion politique sur la tragédie algérienne. *Confluences méditerranée*, (20), 42-55.
9. Addi, L. (1999). *Les mutations de la société algérienne. Famille et lien social dans l'Algérie contemporaine*. Paris : La découverte.
10. Ait Sidhoum, A. (2000). L'Algérie : le poids du drame et ses implications en matière de santé mentale. *Psychologie*, (8), 17-34.
11. Alilat, F., & Hadid, Sh. (2002). *Vous ne pouvez pas nous tuer, nous sommes déjà morts. Algérie embrasée*. Paris : Editions 1.
12. Arezki, D. (2004). *L'identité berbère. De la frustration berbère à la violence. La revendication en Kabylie*. Biarritz : Séguier-Atlantia.
13. Aron, R. (1962). *Paix et guerre entre les nations*. Paris : Calmann-Lévy.

14. Askofaré, S., & Sauret, M-J. (2002). Clinique de la violence. Recherche psychanalytique. *Clinique méditerranéennes*, 2 (66), 241-260. Doi : 10.3917/cm.066.0241.
15. Audet, J., & Katz, J-F. (1999). *Précis de victimologie générale*. Paris : Dunod.
16. Benamsili, L. (2012). Contribution à l'étude du traumatisme intentionnel. *Psychologie*, (19), pp.43-60.
17. Benhalla, N. (2013). *Expressions et caractéristiques de névrose en Algérie.* Paris : L'Harmattan.
18. Benkheira, H. (1990). Un désir d'absolu : les émeutes d'octobre 1988 en Algérie. *Peuples méditerranéens*, 52-53, 7-18.
19. Benmalek, A. (1999). La formation du comité nationale contre la torture en algerien. In D. Le Saout., & M, Rollinde. (Eds.), Emeutes et mouvements sociaux au Maghreb (pp.351-353). Alger : Karthala & Ireman.
20. Bergeret, J. (1996-2014). *La violence fondamentale. L'inépuisable Oedipe*. Paris: Dunod.
21. Bergeret, J. (2008-2012). *Psychologie pathologique. Théorique et clinique*. Paris : Masson.
22. Bouatta, C. (2016, mai). *Figures de la violence en Algérie. Aspects psychologiques et sociologiques.* Argumentaire du colloque national du laboratoire interdisciplinaire santé et population. Université de Bejaia, Algérie.
23. Bouatta, Ch. (2007). *Les traumatismes collectifs en Algérie*. Alger : Casbah.
24. Boukra, L. (2002). *Algérie. La terreur sacrée*. Suisse : Favre Sa.
25. Boukra, L. (2006). *Le terrorisme.* Alger : Chihab.
26. Chakali, M. (2003). Santé publique et effets de la violence. *NAQD*, (18), 71-79.
27. Charef, (1992). *Le grand dérapage*. France : Edition de l'aube.
28. Chena, S. (2011). L'Algérie dans le printemps arabe, entre espoir, initiatives et blocages. *Confluences méditerranée*, 2 (77), 105-118.
29. Claessens, M. (2015). L'Algérie au temps de la terreur. *L'autre*, 16 (2), 182-190.

30. Dahmani, A. (1999). *L'Algérie à l'épreuve*. Paris: L'Harmattan
31. Djerbal, D. (2003). Présentation. *NAQD*, (18), 5-10.
32. Dutour, N. (2007). Nous ne pouvons pardonner si on ne nous demande pas pardon, *Confluences méditerranée*, (62), 71-76.
33. Freud, S. (1915-2002). Considérations actuelles sur la guerre et sur la mort. Paris : Payot.
34. Freud, S. (1929). Malaise dans la civilisation. Paris : Payot.
35. Freud, S. (1933-2006). Pourquoi la guerre ? Paris : Payot.
36. Gampel, Y (2012). Violence sociale, lien tyrannique et transmission radioactive. In A. Ciccone (Eds.), *Psychanalyse du lien tyrannique* (pp.105-126). Paris : Dunod
37. Goumeziane, S. (1994). Le mal algérien. Paris : Fayard.
38. Grandguillaume, G. (1995). Comment a-t-on pu en arriver la ? *Esprit*, (1), 12-34.
39. Guerid, Dj. (2007). L'exception algérienne. Algérie : Casbah.
40. Jahény, J-R., Wilson, R. (2014). *Imazighen: le monde berbère*. Paris : Dacres Editions.
41. Kaes, R. (2012). *Le mal-être*. Paris : Dunod.
42. Katache, A. (2012). *Algérie. L'arrêt du processus électoral : un détonateur pour une violence programmée*. Saint-Denis : Publibook.
43. Katache, A. (2012). *Algérie. L'arrêt du processus électoral : un détonateur pour une violence programmée*. Saint-Denis : Publibook.
44. Lamloum, O., & Ravenel, B. (2003). La face cachée de l'Algérie. *Confluences Méditerranéennes*, (45), 9-10.
45. Laplanche, J., & Pontalis, J-B. (1994). *Vocabulaire de psychanalyse* (12 é èd). Paris : PUF.
46. Mancero, G. (1994). Comprendre l'Algérie. *Confluences méditerranées*, (11), 13-22.
47. Mansouri, M. (2013). *Révoltes postcoloniales au cœur de l'hexagone*. Paris : PUF.
48. Martinez, M-L. (1998). *La guerre civile en Algérie*. Paris : Karthala.

49. Medhar, S. (2009). *La violence sociale en Algérie* (2 é èd). Alger : Thala.
50. Mellah, S. (1998). Les droits de l'homme dans la crise politique algérienne. *Confluence*, (51), 11-22.
51. Merdaci, M. (2009). *Folie et clinique social en Algérie*. Paris : L'Harmattan.
52. Merdaci, M. (2012). *Anthropologie de la souffrance psychique et sociale. Le contexte psychosocial algérien*. Paris : L'Harmattan.
53. Mouffok ; Gh. (2011, 11 février). L'Algérie cherche son mouvement*, TV5*
54. Moussaoui, A. (2003). Pertes et fracas. *NAQD*, (18), 133-150.
55. Musette, M-S. (1999). La jeunesse et la violence urbaine en Algérie. In D, La Saout., & M, Rollinde. (Eds), *Emeute et mouvements sociaux au Maghreb (pp.*315-325). Alger : Karthala & Ireman.
56. Nouschi, A. (1995). *L'Algérie amère, 1914-1994*. Paris : Editions de la maison des sciences de l'homme.
57. Oussedik, F., & Stora, B. (1997). Ce que disent les cadavres en Algérie. *Esprit*, 11, 5-12.
58. Perron, R. (2017). Préface. In A. Si Moussi., & Si Moussi- Ourari (Eds.), *La psychothérapie psychanalytique en Algérie. Névrose individuelle et névrose collective* (pp. 7 -11). Paris : L'Harmattan.
59. Ravenel, B. (1994). Fallait-il soutenir le FLN ?. *Confluences méditerranée,* (11), 153-166.
60. Remaoune, H. (1994). Enseignement de l'histoire et conscience nationale. *Confluences méditerranées*, (11), 23-30.
61. Roberts, H. (2014). Algérie-Kabylie. Alger : Barzakh
62. Si Moussi, A. (2003). L'Algérien entre drames connus et drames méconnus. *NAQD*, (18), 107-117
63. Si Moussi, A., & Si Moussi, A- Ourari, M. (2017). *La psychothérapie psychanalytique en Algérie. Névrose individuelle et névrose collective*. Paris : L'Harmattan.
64. Stora, B. (2001). *La guerre invisible. Algérie, année 90*. Paris : Presses de sciences Po.

65. Stora, B. (2005). Quand une mémoire (de guerre) peut en cacher une autre (coloniale). In N. Bancel (Eds.), *La fracture coloniale* (pp.57-65). Paris : La Découverte.
66. Stora, B. (2008). *Les guerres sans fin*. Paris : Stock.
67. Toualbi-Thaalibi, N. (2006). *L'ordre et le désordre*. Alger : Casbah.
68. Touati, A. (1995). *Algérie, les islamistes à l'assaut du pouvoir*. Paris : L'Harmattan.
69. Zirem, Y. (2011). *Histoire de la Kabylie*. Paris : Broché.